أدونيس

تاريخ يتمزّق في جسد امرأة



لوحة الغلاف: أدونيس

تاريخ
يتمزّق في جسد امرأة

الطبعة الأولى ٢٠٠٧
الطبعة الثانيـة ٢٠٠٨

ISBN 1-85516-798-8

دار الساقي
بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ ـ ٢٠٣٣
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٧٣٧٢٥٦ (٠١)
e-mail: alsaqi@cyberia.net.lb

أدونيس

تاريخ يتمزّق في جسد امرأة

(قصيدةٌ بأصواتٍ متعدّدة)



استهلال

صوت

هذه سيرةُ امرأةٍ عَبْدةٍ وابنها .

نُفِيَتْ، لا لشيءٍ سوى أنَّها
كسرتْ قيدَها . ويُحكى
أنَّها زُوِّجت لنبيٍّ،
وأنَّ ابنَها
صارَ من بعدها نبيّاً . ولكن

لم يَجِئْ في تعاليمهِ
أنَّها حُرِّرَتْ .

امرأةٌ وطفلها، رجلٌ، راوية، جوقة

(المكان مقفر. الوقت غسق)

الرّاوية

عادةً

للسماءِ يدَانِ، ولكنّها فوقيَ الآنَ دون يدَيْنِ،

وها هي شحّاذةٌ، وفي وجهها بُثورٌ.

كاهنٌ وسطيحٌ يجرّانها.

(يشير إلى المرأة وطفلها)

إنَّها امرأةٌ: مرّةً قيدُها طفلُها. مراراً

قيدُها زوجُها.

سوف يُروى لكم

ما تُنُوقِلَ عنها، وما يَنْسبُ الرّواةُ إليها.

هكذا،

ليس ما سيُقال بياناً ولا مسرحاً.

إنَّهُ امرأةٌ حيّةٌ ـ مَيْتةٌ.

(يختفي الصوت)

المرأة

(مع طفلها ليلاً، والقمر هلال)

قمرٌ، سِرُّهُ العذبُ يجتاحني.
قمرٌ، يتدفَّقُ ملْء خلايايَ. لا عورةٌ ولا زَلّةٌ.
قمرٌ نطفةٌ.
قمري خالقي.
قمرٌ، لا لجنٍّ
قمرٌ، لا لربٍّ.
قمرٌ رحمةٌ. رحِمٌ حُرّةٌ.
قمرٌ، بين ثَدْييَّ، في شفتيَّ، وبين ثيابي، وفي خُطواتي
قمرٌ، تحتَ جلدي
قمرٌ أستعيذُ بهلاَّته وهالاتهِ
أتوحّدُ فيهِ، وأُصالحُ نفسيَ فيه
قمرٌ كان جُرْحاً
وسيُصبحُ يوماً ملاكاً.

قمرٌ من حجَرْ
يقرأُ الحبُّ فيه
وجوهَ البشَرْ
قمرٌ للأُنوثةِ، للجنسِ، للنّزَواتِ، وللصّبواتِ
قمرٌ لا لأرضٍ ولا لسماءٍ،
قمرٌ للحياة.

(تحتضنُ طفلها)

غيرَ أنّي
لا أرى الآنَ حوليَ جاراً،
سوى عنكبوتٍ.

الجوقة

«لا يموت سوى الحيِّ»، قالوا.

فلماذا، إذاً، لا يُقالُ: «الأُلوهةُ ليست حياةً».

و«غداً يُذبحُ الموتُ» قالوا:

فمتى يُذبحُ الموتُ، في أيّ وقتٍ، وأيّ مكانٍ؟

(صمت)

الزّاوية

إنَّها امرأةٌ
نصفها رَحِمٌ وجِماعٌ
والبقيّةُ شَرٌّ.

هكذا رَسمُوها.
هكذا وصفوها.

زمنٌ ـ عنكبوتٌ
يجرُّ خطاهُ على وجه قيثارةٍ.

الجوقة

أقفِلوا بابَ تلك السماء على أهلها، أقفِلوا:

جسَدٌ سيّدٌ

جسدٌ طيّبٌ كريمٌ

لا يدقُّ على باب تلك السماء، ولا يدخلُ.

المرأة

لا صداقةَ. لا حبَّ. جسمٌ غريبٌ
بين زوجي وبيني.

وكأنّ ابْنَنا
كوكبٌ آخرٌ. نقيضان يحيا كلانا
بما ليس فيه، وما ليس مِنهُ.

غُربتي بين نفسي ونفسي
وسؤاليَ عنّي لا جوابٌ لهُ.

جسدٌ آخرٌ يتحرّك داخلَ جسمي
لم أعُدْ أتيَقّنُ أنّي أنا.

كم تمنَّيتُ لو أنّني أرْتميسٌ:
أُخْرجُ القمر الشيخَ من تحت نَهديّ، طِفْلاً.

(صمت)

سألتنيَ ثيابيَ عنّي، سألتنيَ عنهُ: كيف بعثرَ جسمي؟

أهوَ الآنَ يُصغي إلى ربِّهِ، أم يُدشّنُ أعضاءهُ

بدمٍ آخرٍ؟ أهوَ الآنَ يرْنو إلى طفلهِ

عائماً

بين أمواج يأسي،

أم إلى جسدي ميّتاً تحت أهدابهِ؟

أيّهذا الهواءُ، رسولي إليه:

ليس في رأسيَ الآنَ غيرُ الخراف، وغيرُ سكاكينها.

ما سأفعل في هذه الأرض؟ لا شيءَ فيها سوى الوعْدِ،

وعْدٌ ــ حجَرْ.

ليس فيها سوى الموت، والكلمات التي تتزيّا بأشْباحهِ.
ليس فيها سوى جِنِّها، ونيرانهم، ودخان البشَرْ.

غسقٌ شاملٌ. غسقي عاشقي،
غسقُ الضّائعينْ.
لا أعوذُ ولا أسْتَعينْ.
ليس جسمي عصاً كي يصيرَ إلى حيّةٍ. والملائكُ ليسوا ملوكاً عليَّ،
أُصلّي لجسميَ واسْمي –
يتكوّن في الجلْد، في الرّئتينِ، وفي نبضة الخليّةِ،
في النَّفَسِ الحرِّ، بحْرٌ
يتكوّنُ بحْرُ الرّحيل إلى آخر الكوْنِ. بحْرٌ
نِسْغُ حرّيةٍ. رحيلٌ بين نفسي ونفسي
وأسيرُ على هَذْيِ جسمي
وأرى كلَّ شيءٍ.

وأَقولُ لِنَفسي:

ليتَ هذي المدينةَ كَبْشٌ

إذاً، كنتُ قدّمتها لِطِفليَ قُربانَ رَفضٍ، وأعلنْتُ مَوتَ الأُبوّةِ ـ

ماذا؟

ولماذا رمانا هُنا؟

أَلِكَيْ نتطهّرَ بالحيّةِ النبويّةِ، أو بالعصا الآدميّةِ من كلّ إنسٍ،

ومن كلِّ حُبٍّ؟

أَلِكَيْ نُطفئَ الطّبيعةَ فينا ـ دياجيرَها وقناديلَها؟

أَلِكَيْ نتوحَّدَ مع صخْرةٍ أو جدارٍ، ونقولَ: غَدٌ لاغدٌ؟

أَلِكَيْ نمنحَ المدينهْ

قبلةَ الحائر الذي ليس إلاّ

خِرقَةً مثلها وطينَهْ؟

ما المدينةُ، إنْ لم تكُنْ بابَ حبٍّ على الكَوْنِ؟ أصغيتُ دوماً

إليها

وانحنيتُ على جُرحِها، وتَشَعّبتُ فيها كأنّيَ جَذْرٌ

تمدَّدَ في كلِّ جَذْرٍ.

ما المدينةُ يا أيّها البدويُّ الذي طَوَّح المدينةَ في آلةٍ؟

الرجل

(يتلفت يميناً وشمالاً)

تلكَ أشباحُ أسْلافِنا. للقبائِلِ أمجادُها ورايـاتُها.
أَلدروبُ إليها رؤوسٌ
تتكدّسُ. كلاّ،
لا أقولُ المذابِحُ مِثلُ الموائِدِ، لكن
كُلّ شيْءٍ هُنا
تَحتَ هذي السَّماءْ
نائمٌ، جامِدٌ.

(يَخلَعُ نعليه. يُقلّب كتاباً قديماً)

أوّل الأنبياء نسيتُ اسْمَهُ.
أَلصَّلاةُ على آخِرِ الأنبياءْ.

(يتابِـعُ تقليب الكتاب)

الجوقة

لا نُسمّيهِ، لا نتجرّأُ أن نَذكرَ اسْمَهُ.
يَهربُ الرَّعدُ خوفاً
مِن دَويِّ اسمِهِ.
والدُّروبُ تُرَتِّلُ أوجاعَها
تحت أقدام حُرّاسهِ،
لا غُرابٌ يجيءُ إلينا ولا هدهدٌ.
قَفَصٌ دَبّرته السَّماء يسدُّ الفضاءَ على كلِّ طَيْرٍ.
لا نُسمّيهِ،
لا نَتَجرَّأُ أن نذكرَ اسْمَهُ.

المرأة

لا أسمّيهِ. أُصغي لصحراء حبّيَ تبكي.
أتُرى يَعرِفُ الرَّمْلُ ما يَكتبُ الضَّبُّ
ما يقرأ الضَّب في وكْرهِ؟

هُوذا طِفليَ الآنَ، كالضَّبِّ، يُشْوى على النار،
نارِ الأُبوّةِ، حَيّاً.
أتركينيَ، يا هذه السّماءُ إلى كيْدِ هذا الغبار الذي يتصاعَدُ مِنْكِ،
الذي يَضْرب الآنَ وجهي.
أتركيني إلى صدريَ
المتكسِّر، عينيَّ ـ مجبولتين بدمعيْهما. واتركيني إلى
شَغفي ـ راقداً جُثَّةً.
ما أقولُ؟ اخْتطِفْني
أيُّها الحُبُّ، واقْذفْ بجسميَ أَنَّى تَشاءْ
ضِدَّ هذي السَّماءْ.

الزّاوية

تفخَرُ الغابةُ المنيعةُ بالذِّئبِ ـ يجتاحُ أَسْوارَها.
فلماذا تُجَنُّ السَّماءُ، إذا انتفضَتْ صَخْرةٌ
ورَمَتْ وَردةً تحت شُبّاكِها؟

أُخرجي يا ذئابَ الجنونِ، وقولي سَلاماً.
غِبطَةٌ أَنْ تُدحرجَ ميراثها
في الطَّريقِ إلى القدس أو مكَّةٍ،
نَعجةٌ ـ كلّ مِيراثِها
حَمَلٌ ضائِـعٌ.
بَشَرٌ سائرونَ إلى ربّهم:
قدمٌ في التُّراب، وأخرى
في السَّماءِ. قطيعُ خِرافٍ.
إنّها كُرَةُ اللّه يُكْتَبُ تاريخُها بِحِبْرٍ
ليس إلاّ دَماً
كيفَ لا تخرجُ الأرض من وَهْمِها؟

المرأة

يصرخُ الطّفلُ: «لا ماءَ».
لا ماءَ، لا زرعَ. ظَهْرُ أتَانٍ
يتلقّى نداءً من الغَيْبِ. ظهرُ أتَانٍ
يتذوّقُ إيحاءَ خَلاّقِه.

أَلفَضاءُ، كما رسمتْه يدُ الشَّمس، قَفْرٌ
والزّمانُ كمثل المكان الذي يتفتّت بين يَديَّ، وفي خطواتيَ،
قَفْرٌ.

وفراشي، ورأسي وقلبيَ قَفْرٌ.
ودَمي شِبهُ مَيْتٍ.

(صمت)

أَتَغلْغَلُ في عزلتي، تحت جِلديَ، في الصَّمْتِ،
في نعمة البكاءْ.
وَأُزحزحُ هذا الثّقيل الفضاءْ.

الزّاوية

يظهرُ الآنَ بومٌ على رأس نَجْمٍ.
تظهرُ الآنَ حوّاءُ فوقَ حصانٍ.
يظهرُ الآنَ آدَمُ في ناقَةٍ.

أَلنَّخيلُ المُعَذَّبُ
يعلو إلى ربِّه شاكياً.

المرأة

هَجَّرتْنا تعاليمُهُ. أَذلِكَ وَحيٌ؟

أَتُرانيَ أسألُ تُفَّاحةً؟

أَتُراني أَجُرُّ الزَّمانَ بِحبلِ السُّؤالِ، وأَصْرخُ: يا أيّها الأَبُ

كُلُّ ما بيننا جحيمٌ.

وأنا الآنَ باسْمكَ أُنْفى،

وأرى باسْمكَ النَّفيَ بيتاً

والفَجيعَةَ عُرساً ــ وأبتكر الجُرْمَ،

أحنو عليه، وأوشوِشُهُ: أنتَ طِفلي.

وباسْمكَ أستقبلُ الموتَ، موتي، وأسمّيه زَوجاً.

أيّهذا الأَبُ

كيفَ لا ينفرُ اللّه ممّا فعلتَ، وقل لي: كيف لا يَغْضَبُ؟

(صمت)

في فراشكَ موتي،

في مَنيِّكَ مَوتي

ومن الحَرفِ، والهَمْسِ،

والصّوتِ في كلماتِكَ،

مَوْتي.

والتَفِتْ: كُلّ شيءٍ حدادٌ على كُلّ شيءٍ.

(صمت)

أيّ أرضٍ، وماذا تُسَمَّى
هذه الأرضُ؟ كلاَّ،
لا أطيقُ بقائيَ فيها، ويُسْعدُ نَفسي
أَنْ تُقَادَ إلى الموتِ في بَلَدٍ آخَرٍ.
هل أذوبُ؟ أُحِسُّ كأَني أذوبْ
ويذوبُ المكانُ وميراثهُ، وتذوبُ الدُّروبْ
وكأنَّ الطِّلاءَ الذي تتغطّى بهِ نبوّاتُنا يَذوبْ.

(صمت)

جَسدٌ آخرٌ يتحرَّكُ داخل جسمي.
سأُلاقيهِ: ذوقي وشَمّي ولَمْسي
لغةٌ في الهواءْ
سأُلاقيكَ، يَا مَنْ سأعطيكَ جسمي متى شِئْتَهُ.
ربّما ينبغي أن أغيّر شكلي،
ربّما ينبغي أن أغيّر جِلدي.

(صمت)

لا أقدّس إلاّ الطّريق إلى شَفَتيكَ إلى ساعديكَ ـ
جِراحي
تَتَنوَّرُ ميراثَها، والحضورَ الذي أتفَتَّتُ فيهِ.
ركبتايَ تغوصانِ. مستنقعٌ. وأرضيَ مطموسةٌ
بتعاليمها.
عنكبوتٌ أمامي يُعلّم قلبي وعقليَ نَسْجَ البيوتِ
على كلّ شيءٍ.

(صمت)

تَظْهَرُ الآنَ، أو هكذا أتخيّلُ، حوليَ جِنّيّةٌ.
تَضعُ اللَّيلَ في رَدِفيْها،
وتشهقُ حوليَ جِنيّةٌ.
تتسرَّبُ، تَنْسلُّ من تيهِ مِعْراجها،
وترقصُ حوليَ جِنيَّةٌ.
آهِ من مَكْرِها
كلّ آياتِها تَتَنَزَّلُ في خَصْرِها.

الجوقة

أسفاً، فَاتَها أن تُشاهدَ هذا الصّباحْ
كيفَ يَهْوِي الفضاء على مكّةٍ بأفلاكِه،
وتُقاتِلُ فيها الرّياحُ الرّياحْ.

أكتبوا، أيّها الشُّعراء وغَنّوا:
لا تُشَقُّ الطَّريق إلى الغَيْبِ،
إلاّ بأجسادِنا.

رُبَّما تنهض الأرضُ: لا آمِرٌ، لا وصايَه
إن تكن غبطةٌ هنالِكَ، فالغبطةُ الغوايَهْ.

المرأة

قمرٌ عاشقٌ وَيَبْرَعُ في النَّوم حتَّى على فَخِذيْ نَمْلَةٍ.
هل سأبقى هنا أَتجادلُ مع نبع زَمْزَمَ؟ يا هذه الصَّديقةُ من أينَ
يأتيكِ حُزنكِ؟ قولي
لِيَدِ الحُبِّ أنْ تَتَغَلْغَلَ مابين نهديك، في العنْق والشَّعرِ،
قولي
لخيالك أن يتصيّد ما شاءَ مِنْ هذه الصُّور القمريّةِ. من أينَ
يأتيكِ حُزنُكِ؟ من عاشقٍ
أم يجيئكِ من غَيْهبٍ؟

(صمت)

لم أعدْ طِفلةً. رُبَّما في الفراش سأعرفُ أنّي
لم أَصِرْ شيخةً. لفظتُ «الفراشَ»؟ كتابٌ
يتعهّد جسمي: أتنقّلُ في مُعجَم الحوض من آيةٍ إلى آيةٍ.
وتقول السَّماءْ
لا يَحقُّ لِمثْليَ أن تَعْشَقَ الأنبياءْ.

كُتُبٌ، قُدّستْ!
لا تقولُ سوى ما يقول الغَسَقْ
في القعودِ، النّهوضِ، وفي الكون والجسم، في الخبز
والخمر والماءِ، في العُلماءِ وفي الشُّعراء، وفي الليلِ والباهِ
والجنْسِ، قولوا:
كيفَ لا تيأسُ الشَّمْسُ، لا ييأسُ الفجر والعقلُ والقلبُ مِما
يعلّم هذا الورقْ؟

(صمت)

الرجل

(ينهض ويحدّق في السَّماء وبين يديه الكتاب)

أَلمساءُ الذي يتهيَّأُ، هل سيزورُ فراشي؟

المَساء يمدّ يديه إلى ذُروات النَّخيلِ،

يَجرّ خطاه على الشُّرفاتِ،

المساءُ استَقَرَّ،

وهاهوَ يغفو

بلا فتنةٍ

وبلا شهْوةٍ.

إنّها مَكَّةٌ؟ أتوهَّم؟ كَلاَّ إنَّها القدسُ؟ كَلاَّ، إنَّها زَمْزَمٌ.

(صمت)

هل يقولُ المَساءُ لجسميَ: ماذا يُسِرُّ؟ مساءٌ
لاهِثٌ، ينثني، يَنحني. هو ذا يتبسَّمُ؟ كَلاَّ.
لَن أُعِدَّ فِراشي لَها.

(صمت. يجلس، ويقلّب الكتاب)

المرأة

في الشّقوق حواليّ، أسمعُ أصواتَ موتى تتعانقُ أرواحهم
ويزورون مَكَّةَ والقدس سِرّاً.
إنَّهُ الرَّمل يحضن أنقاضَهُ.
يَتَمَزَّق وقتيَ في شَدْقِ حُوتٍ.
أقدر الآنَ أنْ أَتَخيَّلَ يونانَ في جوفِه.

(صمت)

مَنْ يَراني هنا يَتساءلُ: هذي

صخرةٌ. أَتُراها سَتُدفَنُ أم

سوفَ تُتْرَكُ للوحشِ والطَّيرِ؟ لكن

ما تَرى في النُّبوَّاتِ، ما شأنُها أَيّهذا المساءُ؟ وما ذَلِكَ

الغَيْبُ يغزو

رؤوسَ بَني آدَمٍ؟

(صمت)

الجوقة

موجُ تاريخنا جامدٌ، والزّمانُ، تُراه توقّفَ؟ رأسُ القبيلة
أرضٌ ـ سماءٌ
تدورانِ في خاتمٍ واحدٍ.

عبثٌ جامحٌ.

غيرَ أنّ النِّساء رياحينُنا
نترصّدُ أحزانَهنَّ، ونمنحُ أجسادَنا
إلى كلّ حُزْنٍ.
حُزنهُنّ فراشٌ أمينٌ.

(صمت)

المرأة

سأفيءُ إليكَ. تُراني أصبحتُ عَذْراءَ
من نعمة الحبّ فيكَ؟ أَفيءُ إليكَ،
وأهبطُ فيكَ إلى لا قرارٍ.
لا أحسُّ بنفسي، لا أحسّ بجسمي،
لا أحسّ بأنّيَ أحيا إذا لم أعانِقْ
جسداً آخراً.
ولماذا، إذاً، لا أجاهِرُ: كلاًّ.
لا أريد الحياة إذا لم تكن بدْعةً
ولماذا، إذاً، لا أعيش كمثل الطبيعة، في لا مكانٍ
وأقول لمنفايَ: أنتَ الوطنْ
أيُّهذا الصّديقُ العدوُّ الزّمنْ؟

(صمت)

هكذا أيُّها الجسد الحبّ أسلمتُ صوتي إليكْ
أَعْطِني، في طريقي إلى ذُروات جراحي يديكْ

عبدةً ـ كنتُ أعرفُ ربّي عشيقاً وزوجاً.
زوجةً ـ أَعرفُ الآن فيه عبوديَّتي.
لم يعُدْ بيننا غير أشلائنا.

(صمت)

أيُّها الغرباءُ الأحبّاءُ في كلّ أرضٍ،
ما أقولُ لِطفلٍ
يتغَرَّبُ في مهْدِهِ؟
أأقولُ: نسيتُ فراشَ أبيكَ، ولي شهواتٌ،
وأبحثُ عمّا يُمتِّعُ؟ كم يَصْدُقُ الكافرونَ. شهيٌّ،
جميلٌ أن نصُبَّ السّماوات والأرضَ في كأُس لذّاتنا.
أن نرُجَّ السّماءَ ـ نبوّاتها، وتعاليمها
أتراها
فرِحتْ لِخِتاني؟ ولكن
أَعطني جسمك المنوّرَ، يا أنتَ، خُذني إليكَ، إلى سِحْرِ
أعضائكَ الآسِره.

(صمت)

لكَ عطْرٌ يجيء من العُنْق والصّدر، من آخِرِ الخاصرَهْ
يتقطّرُ، ينسابُ، أنسابُ فيهِ. أتفتّحُ.
سَلْسِلْ هبوطكَ فيَّ. أشفُّ من الضّوء ليْلي.
أتصدّعُ ـ أرْضاً
زُلْزِلَتْ ليؤاخيَ فيها
باطنٌ ظاهراً،
وتُوحَّدَ أغوارُها وأسوارُها.
أسْتَشِفّك، أنهدُّ فيكَ. متاهي ولقائي بنفسيَ
أنتَ، وحرّيتي.
نرتقي سلّمَ الغوايهْ
في مدى هذهِ اللاّنهايهْ.
نتماهى. وأجلو
قسماتي بأنْفاسِكَ. ابْتكرْني كأنّيَ شِعْرٌ ورسمٌ

وغِبْ فيَّ،

لي فيكَ أكثر من ذُرْوةٍ، ومن غابةٍ.

ولي فيكَ ما لا تراه الفصولُ، ولي فيكَ ـ لا إرْثَ،

لا غابرٌ. حضورٌ

يتفجّرُ بركانُه،

وأرى فيكَ غيبكَ، غَيْبيَ، خذْني.

جسَدي طين حبٍّ، وأسلمت نفسي إليكْ.

(صمت)

الرّاوية

سأكرّر ما قيلَ: ما خَبرتْه الحياةُ وتعرفه الأمثلهْ،
سأكرّر ما قيل: قتْلٌ
ختنُ فرْجٍ. وقتْلٌ
أنْ يُحَوّلَ فرْجٌ إلى فُرْجةٍ —
تتخاصمُ فيها الغيوبُ، وتنْهزمُ الأسئلهْ.

كُلُّ مختونةٍ جُثّةٌ.

(صمت)

المرأة

(حاضنة طفلها)

أتخيّلُ. يُلقي رأسهُ فوق صدري،
وكأنّيَ أُصغي إليهِ:
«مَنْ أبي؟ ما اسمُه؟»

هل أقول له: ماتَ؟ مَوْتي
أنّني
لم أمجّدْ كتاب الخطيئةِ. مَوْتي
أنّني كفراشة ليلٍ
ليس لي قوّةٌ لأُخطئ. أحنو
وأضمّ جناحي على شَمعةٍ:
خطأي شَمْعَةٌ.

(صمت)

الجوقة

أرضُها جرحُها. تتنَهَّد: لا ملجأٌ، ولا مخرجٌ.
ولماذا؟ وما الخيرُ؟ ما الشَّرّ؟ ما الأبديّة؟ ما هذه
الكلمات التي تتشحّطُ مشلولةً؟
ما لتلك الرّياح التي يستضيءُ الرّحيل بنيرانها
مُطْفأهْ؟

هِجرةٌ لا قرارٌ لها
والطّريق امرأهْ.

(صمت)

الرّجل

(ينزعُ سترته. يمشي جيئة وذهاباً)

أرْضُ كنعانَ ثوبٌ

يتمزَّقُ بين يدَيْ ربِّهِ.

(صمت)

مُدنٌ تتشظّى ـ مُدُنٌ مَيْتَةٌ.

غيرَ أنَّ النِّساءَ رياحينُنا.

أترصَّدُ أحْزانهنَّ، وأمْنحُ جسمي إلى كلّ حُزْنٍ.

حزنُهنّ فِراشٌ أمينٌ.

(صمت)

المرأة

هل أقولُ لِلوني تغيَّرْ؟

ولماذا

ميَّزَ اللّهُ ما بينَ أبنائهِ؟

(صمت)

الجوقة

أرضُ نفْيٍ. صلاةٌ
أنْ يكونَ الخرابُ نبيّاً،
أنْ تكونَ الحجارةُ مرثيَّةً لخُطاهُ
وَرُجوماً لشياطينهِ.
أرضُ نفْيٍ ـ نُحيّي مَناةً
ونُحيّي
وجهَ عُزّاكِ، يا هذهِ الصّحارى.
ونُناديكِ: يا لاتُ أنْتِ الأُنوثةُ. شِعْرٌ
أنْ تكونَ السَّماءُ سريراً وأُنْثى.

(صمت)

المرأة

لا كتابٌ. خطواتي كتابي، لغتي خطواتي. كلّ سطْرٍ بلادٌ
أتفحّص أنحاءها عشبةً عشبةً.
أتمثّل إيقاعَها وأسافر فيه، أروح وأغدو
صفحةً من غبارٍ
صفحةً من شرارٍ:
جُمَلٌ تتقاطعُ في ظُلُماتٍ، جُمَلٌ تتوازى.

لا غَدٌ، لا رهانْ
غيرَ أنْ نوقِظَ الأرضَ من نومِها
ونُغَيّر هذا الزّمانْ.

(صمت)

جسَدي ما أراهُ وما لا أرى
وأنا الآنَ صحراؤهُ ـ وأرى وادياً
وأفيءُ إلى دوحةٍ وأرى برزخاً وأخلعُ عنّي قميصي
(جسدي خِرْقةٌ، تقول تعاليمهم).
وقلّمتُ أظفاريَ اليوم، واليوم أُغرِقُ نهدَيّ في ماءِ
زمْزمَ، أُصغي لما يهمسان. تجزّأْتُ فيهِ،
تنوّعتُ فيهِ، وتكاملتُ فيهِ،
واهْتديتُ، وضَلَّلْتُ. ماذا؟ لماذا تقولُ تعاليمهم:
جسدي خِرقةٌ؟ وأعبُر فيه من فضاءٍ إلى آخَرٍ.
جسدي ما بدأتُ وما أبدأُ.
جسدي كلُّ ما أتذكّرُ، ما أتقصّى، وما أقرأُ.

(صمت)

ولماذا إذاً لا أمجّدُ ثدْييَّ والعُنقَ؟ ما بينَ،
ما حولَ، والشَّفتَين، اليَدَين، لماذا
لا أجرُّ السَّماء على رَدِفَيَّ،
على الصَّدر والنَّحر والخاصرهْ
ولماذا
لا أوحِّد بين الحياة، وما سوف يأتي، وما تكنزُ الذَّاكرهْ؟

(صمت)

أَلنّجومُ النجومْ
وطنٌ لا تعاليمَ فيه، ولا قيدَ فيه، ولا يعرف التّخومْ
النّجوم تُسَرِّحُ غُزلانها في ثيابي، تُجَنُّ احتفاءً بجسْمي،
بالخروجِ إلى أرضها
في السّديم، وفي الظّنّ. في فتنةِ الخفاءْ
أشهابٌ؟ تراهُ يعرِّجُ نحْوي؟
أيّهذا الشّهاب الذي يتهادى
مثلكَ الآنَ، أحيا
ليسَ لي غير هذا العراءْ.

(صمت)

لِأقُلْ مثلهُ: ينبغي.

ما الذي ينبغي؟ أيّهذا المسيلُ الذي يتدفّق من فَخِذيَّ،

وَيَا ذلك الكتاب الذي يخنقُ الأُنوثةَ،

يا غُلمةَ الأحَدِ الجُمْعَةِ السَّبْتِ، ماذا، ما الذي ينبغي؟

بطْنُ هذا النَّهار انتفاخٌ. وماذا،

أيّهذا الكلام الذي يتألّهُ في شفَتَيْ بائسٍ؟ وماذا،

أنتَ، يا كاسرَ الكلماتِ، الذي مرّ شاقولُهُ

بين جسميَ واسْمي، ما الذي ينبغي؟

أنتِ، يا هذهِ القماشةُ مبلولةً بدمعي؟

أنتَ يا ذلك الكوكب الذي يتفيَّأُ في رمْل مكّة،

في صخْرةِ القُدْسِ

ماذا، ما الذي ينبغي؟

سائق اللّيل يَهْوي، والنّجوم يُجَفِّلنَ أفراسَه.

أَلسَّماء انفجارٌ يجيءُ ويذهبُ، رأسي له ملْعبٌ.

(صمت)

الجوقة

أخذ العشقُ يكسر أغلالَهُ.

مزِّقوا هذه السَّتائرَ عن وجههِ، وقولوا

كُلَّ ما لا يُقالْ.

إنّها فتنةُ العبور إلى كلّ ما لا يُطيقُ الجوابُ،

وما لا يُطيقُ السّؤالْ.

(صمت)

المرأة

هو ذا أتبدّدُ في كلِّ شيءٍ
وما زلتُ أجهلُ نفسي
مَنْ أنا؟ أينَ أخْفيتِني
أيّهذي الغريبةُ في كلماتيَ في شهقاتي؟
كيف لي أن أرى ما اسْتَسَرَّ، ومن أين لي أن أُصالحَ وَجهي،
وأُعانقَ ذاتي؟
رغْبتي فضحَتْني. رغْبتي فصلتنيَ عنّي.
وأنا أعرف الجحيمَ على الأرض حتّى كأنّي جحيمٌ.

(صمت)

السّماءُ حجابٌ عليَّ، وأسأل نفسيَ مَنْ أنتِ؟
لا كوكبٌ، لا ملاكٌ.

غضبٌ يمزجُ الشَّمسَ والأرضَ والأبجديّة والكونَ
في نبضِهِ.
غضبٌ يتولّدُهُ، تسري خلاياه منسوجةً
بخلاياكَ يا ليلُ، يا جسمَ هذي الطَّبيعَهْ،
وأُخلّصُ نفسيَ من غَيْبها، وأقطع ما بين جسمي
وأوهامهِ ـ أتَشرّبُ إكسيرَ هذي القطيعهْ،
أتجدّدُ فيها، وأُرتِّلُ آياتها
وأُعانقُ نفسيَ مجبولةً
بالحياةِ، بِطِينٍ
لمْ يُلامِسْهُ وحْيٌ.

(صمت)

هل أُعِدُّ سريراً لطفلي؟ هل أُعِدُّ له مدْفناً؟

لا أُحبُّ المُضيَّ إلى ما يُعاندُ قلبيَ. قلبيَ حُرّيتي

فلماذا

أَتمزّقُ حتَّى كأَنّي

أتمزّقُ كُرْهاً لنفسي؟

أتُرى قوّتي

في ضياعي وضَعْفي؟

أتُرى هذيانيَ عقلي،

ورجائيَ أنّيَ مخنوقةٌ؟

(صمت)

إنّهُ السَّبتُ. يسْبتُ عقلي؟ ساعدايَ؟ ولكن
أيسْبُتُ قلبٌ فاتحٌ نبضهُ على كلّ شيءٍ؟

أحدٌ ــ أتخيّلُ كيف أدبّرُ أمري
لأُلاقيَ شخصاً تخيّلتهُ.
جُمعَةٌ ــ قابُ قوسين من ظُلْمَةٍ.
للثّلاثاءِ أعطيتُ صدري،
وللأربعاء جراحي.
والخميس انتظارٌ
لا لشيءٍ. ولكنّهُ انتظارٌ.
لن أكونَ اثنتين ولا اثنيْنِ،
يا أيُّها الأخيرُ المُغطّى، بالتباساتهِ،
وتجاعيدهِ،

لامَسَتْني حصاةٌ لها شكلُ وجْهٍ
وانحنتْ نبْتةٌ على قدمَيّ. تُراه
جسدي يتغرّبُ عنّي؟
مرّةً، تسجدُ الملائك مأخوذةً بشياطينهِ.
مرّةً، يجلسُ الكونُ كالطّفلِ في حضنهِ.
مرّةً، يصرخُ الوحشُ فيه.
مرّةً، تهبطُ الأرضُ فيه، وتبكي على جُرحهِ.
مرّةً، يتناءى، يجيءُ ويذهبُ في نشوةٍ مُبْهَمَهْ
مرّةً، يتلاشى، ويجثو أمامي،
لكي أتخلّصَ منه، ولكي أرجمَهْ.

سأقول لجسميَ: عرِّج على نخلةٍ، تفيّأْ،
وَاقْرأِ الشِّعرَ في ظلّها.

(صمت)

الزّاوية

مثلَها،

صِرْتُ تمثالَ رفْضٍ،

وَثناً عاشقاً، وأُحسُّ كأنَّ الصّواعِقَ

تأتي وتذهبُ فيهِ.

(صمت)

المرأة

هَيجانٌ يُلحُّ. تجرّأْتُ أن أخرقَ العادةَ،
اليومَ، أسْلمتُ جسمي
لهوى شهواتي. وهتفتُ انتشاءً:
أينَ جسميَ؟ لم ينْزلِ اليومَ نجمٌ عليَّ.
تُراها تخون النّجومُ وتَنْسى؟
وما ذلك الصّوتُ؟ إنسٌ
أمْ تَوَهُّمُ إنسٍ؟

تنصبُ الذّاكرهْ
كلَّ يومٍ، أماميَ فَخّاً
من تفاصيلِ أياميَ الغابرهْ.

(صمت)

لا سريرٌ. سريري ورقٌ يتجعّدُ بين
يديْ كاتبٍ. سريري
هجرةٌ وارْتحالٌ بين قيدٍ وقيدٍ. سريري
أمَةٌ أمّةٌ تتناسلُ ليلاً وتأكلُ أبناءها نهاراً.
سريري. لا أنامُ
سريري ـ لعلّي
بين وقتٍ وآخرَ أغفو قليلاً
وأرى قارباً يتحوّل فيهِ
وسادي إلى موْجةٍ
تتعارك فيها صُورٌ مبهماتٌ
لملائكَ لا يُتْقِنون سوى نومهم.
وأرى دارةً تتناثر فيها التَّزاويقُ زرقاءَ حمراءَ فيها
ربّةٌ للوعيد وفيها ربّةُ الوعْدِ أسْعى
وآمُلُ هذا رجُلٌ مَعْدَنيٌّ وهذا
رجُلٌ من ورَقْ
وكأنّيَ أمشي إلى آخر الأرض في هُوّةٍ في نَفَقْ.

(صمت)

الجوقة

حَشَراتٌ. ملائكُ. أشباحُ برٍّ وبحْرٍ،
وطريقٌ دُوارْ
لا نرى غيرَ نسْجِ الغُبار وغيرَ تآويلهِ،
ونسمعُ شبّابةَ الغُبارْ.

(صمت)

المرأة

حانَ وقتُ الهبوطِ، الدّخولِ إلى الظّلّ. هذي الطّيوبُ
التي تتَفَتَّتُ أكمامُها جراحٌ. أتُرى يعرفُ الآنَ جسميَ
أنَّ الضّلالةَ منسوبةٌ إليهِ؟ أنّ جلدي غَويٌّ؟
أنّ بيني وبينَ الغواية جسراً؟ أنّ صيّادنا واحدٌ؟
أتُرى أرضيَ الآنَ تشهدُ موتيَ؟ ماذا أقولُ لغزلانها؟
ما أقولُ لأبوابها وأقفالها؟ للنّوافذِ، للعَتَباتِ
وماذا أقولُ لأسوارها، للحرائر فيها، لعُبدانها؟

ما أقولُ لنفسي، ولتلك السَّماء التي اسْتَعْبَدَتْني تعاليمُها؟

(صمت)

أتعرّى. أقولُ لليليَ: هيّا،
أُدْخلِ الآنَ فيَّ.
بريدي إلى السِّرّ أنتَ. بريدي إلى ما تبقَّى
منْ أيائلَ في هذه الصّحارَى.

لا غدٌ، غيرُ هذا الضّياع. تنفَّسْ
أيّها الليل فيَّ. تذكّرْ
أنّ جرحيَ أبهى وأعْرَقُ من جرحه.
أنّني لستُ من نَسْلِهِ،
لستُ تعويذةً،
لستُ من أنجمٍ ولا شعْوذاتٍ. تذكّرْ

أنّني أرَقُ الضّوء في اللّغة ـ الأمّ، أنّي
لا أُمجّدُ إلاّ
جسدي وانخطافاتِه.

(صمت)

الجوقة

شمسُ هذا النّهار غرابيّةٌ.
الأشعّةُ فيها عكاكيزُ مكسورةٌ.

صورةُ الأرضِ نعْشٌ.
والسَّماوات جوفاءُ، أسنانها
تتساقط منخورةً.

شمسُ هذا النّهار وَداعيّةٌ.

(صمت)

المرأة

أَأَنا حُرَّةٌ
لأُغنّيَ حبّي؟
بين هذا الفضاء وهذا التّراب سلالمُ: طيرٌ،
خرافٌ. بقراتٌ عجافٌ. ولماذا، إذاً،
لا أرى غيرَ نملٍ؟

فزعي يَتقوّتُ رملاً.
كُتلٌ من سرابٍ تتدحرجُ ما بينَ عينيَّ. جسمي
ورقٌ في مَهَبٍّ. وفي كلِّ عضْوٍ
مأتمٌ. أتحرّكُ في حفرةٍ،
وأُصلّي لجسميَ: كُنْ حانياً،
وكُنْ كالفُجاءَةِ في عينِ ذئبٍ.

(صمت)

الرّجل

(متابعاً تقليب الكتاب)

أتُراها لا تزالُ، كما صُوِّرتْ

أم تُراها اثنتان ــ

جسْمُها واسمُها؟

جسْمُها في مكانٍ

واسمُها يتَرَنَّحُ في لا مكانْ.

والأنوثةُ فيها ــ تُراها

لم تعُدْ غيرَ لَفْظٍ ــ جسداً من كلامٍ، وجِنْساً

يتَنَقّل في مُعجم الوحْي من آيةٍ إلى آيةٍ.

(صمت)

المرأة

سأُعيدُ لجسْميَ للفُرَج الكوْكبيّةِ فيهِ، لخلاياهُ أهواءها
وسألمَسُ من أوّلٍ جلدَ ليْلِي، أجسّ تَضاريسَهُ
وأُعيدُ لها شِعْرَها، ومسحوقَ تِنّينِها.

أيُّها الذَّكرُ المتربّعُ في معْجم الوحْي، مَنْ أنتَ؟
إخلعْ ثياب السَّماء، وجِئْني
في ثياب الطَّبيعةِ،
لا نشوةٌ، لا كتابْ
غيرُ هذا التّرابْ.

(صمت)

الجوقة

زمنُ الحبّ يُسْرِجُ أفْراسَهُ.

زمنٌ طالعٌ
منْ طفولة أسرارنا.

زمنٌ عاشقٌ
وأعضاؤُنا جِرارٌ
مُلِئَتْ من ينابيعِهِ.

(صمت)

المرأة

لمْ أُحارِبْ غزالاً ولا وردةً.
ويَدُ العالِم الخشبيّة لم تَنْقلِبْ
في يديَّ إلى حيّةٍ.

جسَدي يتفتَّحُ. عِطري
يتَضَوَّعُ أعلى وأبعدَ من أنْ تُحيطَ بأسرارِهِ،
وتقاليدِها،
حربُ نَفْيٍ ونَبْذٍ
بين ربٍّ وربٍّ.

جسدي كَوْنُ حبٍّ
كُلّما سلكَتْ نارُهُ دربَها،
قتلَتْ ربَّها.

(صمت)

الجوقة

ها هيَ الآنَ تَنْزَعُ
مِنْ قدمِ الأرْض أشْواكَها، وتُحَيّي غِواياتِها.

أَلغوايةُ شمسٌ.
أتُراها الطّريقُ إلى اللّهِ نَحْوٌ وصرْفٌ؟
لا نظنّ الطّريقَ إلى السِّرّ محفوفةً
بغير النّساء وغير مناديلهنَّ. لماذا
بعدُ لم يُكْتَشفْ
جُرْحُ هذي البلاد، الذي يَتَقَيَّحُ في عَنْكبوتٍ؟

(صمت)

المرأة

يُهجَرُ الآنَ وجْهيَ. وجْهي
كانَ يُمكِنُ أنْ يَسْبَحَ النّجْمُ في ماءِ عَينيه،
قَبْري قَريبٌ إليَّ.
قَرّبيني، خُذيني إلى مائِكِ الطّفل، يا نخلة الحبِّ، قولي:
أهُنا آخر الكونِ، أم أوّل الكون؟ قولوا
يا أحبّاءَ يأسي، وردّوا غِطائي عليَّ.

(صمت)

الجوقة

جُثَثٌ، صَلواتٌ.
أهُناكَ انفجارٌ يقودُ إلى آخِرِ التُّخومِ؟ انحدارٌ
عابرونَ، حَيارى
ربطوا خَيطَ أَيامِهِم
ببقايا عظامٍ.
هَدَّ جلجامشٌ بَيْتَهُ. مَلذّاتُه هاجَرَتْ ـ
أصدقاءُ مَلَذّاتِه هاجروا، ـ
يَنْظرونَ إلى رأسِ هابيلَ في حُفرةٍ،
وقايينُ يَرْقُصُ. قولوا:
أَتُراها الأُخوَّةُ في حكمةِ الوَحْي قَتْلٌ؟

نَتَوقَّعُ أن ينزلَ الرَّمل، هذي العَشِيَّة، ضيفاً عليها
وبين يدَيْهِ
عنكبوتٌ يَجُرُّ يَد الغيْبِ مجروحةً إلى بيتهِ.

(صمت)

المرأة

أشْتَهي، أَتَعذَّبُ. أَرضَى، وأرفضُ ما كُنتُه.
أتَخَبَّطُ. هل تنتهي طريقي؟ ومَنفايَ؟ أقصى وأعمقُ
مِمّا يُخَيَّلُ. هَا أتدَرَّبُ حتّى أسنَّ الخطيئةَ ـ أيّامَها وأعمالها،
وأُدَرِّبَ أظفارها
كي تُمزِّقَ وَجْهَ البدايةِ. لكن
ما أقولُ لِطفلي؟
هل أقولُ لِطفلي
أنتَ مِنّي، ولكن
قلقي فيكَ أَنّي أُحِبُّ وأصبو
وأَعشقُ جِسمي   وأهفو إلى عاشقٍ
يكونُ صديقاً
وتكونُ الصَّداقةُ مهدَ الأُبُوَّةِ ـ سِرَّ الأبوَّهْ

قَلقي فيكَ أنَّ النبوَّه
لا تُسافِرُ في شَرياني، في خَلجاتي.
قلقي أنَّها لا تُلامِس إلاّ
زَبَدَ الجسمِ والنَّفْس والكلماتِ
أنَّها تَتَذَكَّر منّيَ ثوبي وتَنْسى حياتي.

(صمت)

هلْ أقولُ لِطفلي
لَمْ تَجئ مِثلَ شَمْسٍ
لَمْ تَجِئ مِثلَ نَبْعٍ؟
جِئتَ قَيْداً وشَرعاً

هلْ أقولُ لِطفلي
قَتَلَتْني فيكَ الدُّروبُ إلى شَهَواتي؟

(صمت)

الجوقة

إنَّـها توقِظُ الطِّفلَ من نومِهِ:
أَلخيالُ المُنَوَّرُ يَرسُمُ في ناظريْها
أُفُقاً يَتَقَدَّمُ في بابِ غَيْبٍ
خَلَعَتْ قُفلَهُ
دَخَلَتْ. قَلَّبَتْ
لم تَجِدْ غيرَ أوهامِها.

إنَّـها تُرضِعُ الطِّفلَ أوهامَها.

(صمت)

الرجل

(يجلس ويقلّب صفحات الكتاب)

هذه امرَأةٌ
تَعشَقُ الحُرَّ، لكن
هل تَفيءُ إلى العبْدِ في نَومِها؟

مِثلُ هابيلَ: لا فِطرةٌ رَعَتْهُ، ولا حِكْمَةٌ أَنْقَذَتْهُ
بَيْتُها موتُها.

أيُّهذا اللَّقيطُ الذي يَتَنَكَّرُ، جَاهِرْ:
أتُرى هاجَرٌ أصلُنا؟

(صمت)

المرأة

إنَّهُ الحبُّ: شَرَّقْتُ فيهِ
وأُغَرِّبُ. جسمي

مَرَّةً قالَ جسميَ: قَدَّمْتُ حبّيَ قُربانَ تيهٍ
إلى اللّهِ. ما ذلك الدُّوارُ
الذي قادني اليوم نحو الفراش؟
تُراني قَرأْتُ بلا فِطْنَةٍ صوتَهُ؟
هل يصير الدُّوار على شرفةِ الموتِ فكراً؟
ولماذا
لا أرى الحُبَّ في كلِّ جسْمٍ؟
أتُراها خطاياي في لوحِ هذي الألوهة، لا حصْرَ
يرقى إليها؟

(صمت)

الجوقة

الطَّريق إلى الغَيْبِ إنْ صَحّتِ الماءُ، رملٌ.

(صمت)

جَرَسُ الحبّ أعلى وأَبْعَدُ، والأَرضُ أوسعُ
مِمّا تقول النُّبوَّاتُ: ما هذِهِ الحانَةُ الوالهَهْ
خَلْفَ جُدرانها
خِفْيَةً، تَسكرُ الآلِهَهْ.

هذه امرأةٌ لُغَةٌ نُوِّمَتْ
لَمْ تَقُمْ بَعْدُ من نَومِها.

(صمت)

لَعِبُ الحبّ ضوءُ

تارةً، وظلامٌ

تارةً. كلّ حبٍّ

نَرْدُ عُضْوينِ، يُرْمَى

في فِراشٍ كَريمٍ.

(صمت)

المرأة

أَتُراني أعيشُ مجازاً
ولَسْتُ امرأَةْ؟
خطواتي قيودٌ، ولكن جسمي فضاءٌ.
آهِ ما أجملَ الحياةَ وسُحقاً لجنّتِها المُرْجأَةْ.

(صمت)

ولِماذا، إذاً، لا أمُدُّ ذراعي من النّيل حتّى الفُراتِ. لماذا
لا أُصاحبُ شُطآنَ أرضي وغاباتها، والجِبالَ وأغوارها
ولماذا لا أقول لِطِفْلي:
أُمُّكَ العَبْدَةُ الجاريَهْ
جَسَدٌ يَقْحَمُ الغَوْرَ، والهولَ والشَّهواتِ وأسوارَها العاليه؟
ولِماذا
لا أردُّ إلى جَسَدي سِرَّهُ
وأقولُ: ابتكرتُكَ، يا حُبُّ، مِنْ أوَّلٍ؟

(صمت)

أسْمَعُ العُشْبَ حولي يَئِنُّ: لأقلامِهِ
ودَفاتِرِ أوجاعِهِ زَفيرٌ. ويَهْمُسُ: هذي
طُرقٌ غيَّرت تضاريسها. وهذي
فُرُشٌ تترقَّبُ زُوَّارَها.
أتُرى هَذه النَّباتات سَكْرانَةٌ؟
أتُراهُ الهَواءُ يُصَلّي لوجْهِ النَّخيلْ
كي يَرى لونَ قلبي وجسميَ في حِبْر ترْحالِهِ الطَّويل؟

(صمت)

سأُصلّي لِجسمي

لِثَنيَّاته،

لِتقاطيعهِ،

ولِنَهديَّ مُسْتَرْسَلين. صُعوداً هُبوطاً

إلى كُلِّ ما جهلَتْهُ النُّبوَّات فينا.

(صمت)

قلقي أنَّ ليلَ البَشَرْ

مُوثقٌ بحبالِ النُّبوّاتِ، هذي

نَبْتَةٌ

صُورةٌ بينَ أبهى الصُّوَرْ

ويَدُ النّيل قالَتْ

أنْ أُخبّئَ أوراقَها

تَحْتَ نَهْديَّ. أوراقُها

تَتَهامسُ: إيزيسُ تحنو عليكِ

وأنا رَمْزُ إيزيسَ بينَ يَديْكِ.

(صمت)

سَأُصَلّي لِجسمي
وأقولُ لَهُ أنْ يُصلّي معي
لمواضع أسرارِهِ، لأقمارِهِ، لغاباتِهِ وأنْهارِهِ.
وأُصْغي
لخلاياهُ تَرقصُ مسْحورةً. وتُوشْوِشُ في
غِبْطَةٍ وافْتِتانْ:

أَلنَّبات سُطورٌ
والثّرى دَفْتَرٌ
وأنا حِبْرُ هذا المكانْ.

(صمت)

الجوقة

يَصقُلُ الطّينُ مرآته كُلَّ يوْمٍ
ليرى رَبَّهُ.
رَبُّهُ كَلِماتٌ،
نتوقّع أن يتحوّلَ تاريخُها إلى خَطّ رَمْلٍ.

(صمت)

الزّاوية

لَذّتي أنّ رَمْلي

يتحدّثُ ذئبٌ بين كُثْبانهِ، في الطّريقِ إليهِ،

وتسمع شاةٌ.

لَذَّتي أنَّ هذي الطّريقَ تُغامِرُ مقطورةً بأحلامِها.

(صمت)

المرأة

أَلسَّوادُ. كَأَنَّ الحجارة تَحيا

أَبَداً في حِدادٍ.

«لا تحنّي ولا تأملي.

شَرٌّ قَيدٍ تُعانينَهُ

أنْ تحنّي وأنْ تَأملي.

لا حياةٌ إذا لم تكُنْ حضوراً».

هكذا قال صوتٌ،

أو تَخيّلتُ أَنّيَ

أَسْمَعُ صوتاً.

(صمت)

كُلُّ شيءٍ أَصَمٌّ وأبْكَمُ، حوليَ فوضى رمالٍ،
وفوضى رياحٍ.
عنكبوتٌ يدبّ على وَجْه قيثارةٍ:
ذاك تاريخنا.
لا طَريقٌ، وما مِنْ نِداءْ.
غَيْرَ أَنِّيَ، هذا المساءَ، تَحَدَّثتُ مع زهرةٍ
عِطرُها كان يَحملُ من بَرِّ مِصْرٍ
بريدَ المساءْ.

(صمت)

الجوقة

لم نَعُدْ نعرفُ الآنَ كيفَ نُمَيِّزُ بينَ المَدينةِ والخيطِ
في قَدَمَيْ عنكبوتٍ.
يَصعُبُ الآنَ أن نسكبَ العِطر، عِطْرَ الحقيقةِ
إلا على جُثَّةٍ.
يَصْعُبُ الآنَ أنْ نتفَيّأَ إلاَّ ظلاماً.
كلّ شيءٍ يصيرُ كما يَشْهَدُ التّحولُ رَمْلاً.

(صمت)

المرأة

مَنْ يَقول تَخلَّيْتُ عَنْ أَرْتَميسَ وإيزيسَ؟ شمسي
مِنهما، بهما، فيهما.
مَنْ يقولُ: الطبيعة ضدِّي؟ الطبيعةُ مِثلي.
نحن ثديان في جسدٍ واحدٍ.

(صمت)

تتنَهَّدُ في خطواتي حقولٌ
وتُغنِّي فراشاتُ عُشْبٍ.
ويدايَ وأغصانُ هذا النَّخيلْ
سَفَرٌ في حوارٍ طويلْ.

(صمت)

زَعموا أَنْني خُلِقْتُ لكي لا أكونَ سِوى ذلكَ الإناءْ
لاحتضانِ المَنيِّ كأنّي مُجرَّدُ حَقْلٍ وحَرْثٍ:
جَسَدي من غُثاءٍ وحَيْضٍ
وحياتيَ تَجري
مَرَّةً، صَرخَةً، مَرَّةً مَوْمأَةْ.

وَلِماذا إذاً يَكتُبُ الكونُ أسرارَهُ
بيديْ عاشِقٍ؟
ولِماذا إذاً يُولَدُ الأنبياءْ
في فراشِ امرأَةْ؟

(صمت)

ها هُنا هَذَياني يقولُ حبيبيَ حدٌّ. ويقولُ حبيبي
لا يُحَدُّ. وأسألُ حُبِّي: أينَ كُنّا، وكيفَ افترقنا؟
ويَقولُ لِماذا
نلتقي مِنْ جديدٍ؟
والفراق بلادٌ يَتَجَدّدُ فيها الخيال، وتُسْتَنْفَرُ الشَّهواتُ
ويَقولُ: الحياةُ الحياةُ
كيفَ لا تَعشقُ الأرضُ أحوالَ مَنْ عَشقوها وماتوا؟

(صمت)

هَمِّيَ الآنَ أنْ أُشْعِلَ الضوء في داخلي.

أَأَنا غابةٌ؟ إشارةُ نُورٍ؟ أتوهَّمُ، أم أتَعَقَّلُ؟ ظنّي

أنّني أَتَوَهَّجُ حُبّاً

لا لشيءٍ بعيدٍ. أَتوَهَّجُ حُبّاً لنفسيَ ـ مَقرونةً بِسواها

لِخطايَ الّتي تَسْتَقِرُّ ولا تَسْتَقِرُّ. لِحُزني

تَحْتَ هذي النّجوم التي لا تُحِسُّ. ولكِنْ،

أَتُرى يُولَدُ الحُبُّ في القَفْرِ؟

مَنْ سَأُقاسِمُ جسمي؟

هَلْ سَتَلْمسُ صدري يدا عاشِقٍ، أم يدا قاتِلٍ؟

أَتعرِفُ إيزيس، أم تَعْرِف اللّاتُ؟ كلّا،

لَيْس هَمّي أن أوقِظَ الألوهةَ مِنْ نَومِها.

(صمت)

لَيْسَ لي آخرٌ أَتَوَقَّعُ أنْ يأتيَ اليومَ أو في غَدٍ،
لَيْسَ لي غَير نَفْسي.
آخري غائبٌ.
لَيْسَ لي غيرُ جسمٍ يموتْ
مثلما يعبُر الظّل أو يَنسجُ العنكبوتْ.
أتُرى شَهواتي
غَرَّبتنيَ عنّي
أتُراني لا شيء غيرُ الجذور التي اقتَلَعَتْها
أعاصيرُ حُبّيَ مِنّي؟

(صمت)

أتَوَهَّمُ؟ كَلاَّ

حَجَرٌ أسودٌ

عشيقٌ لِصدري.

أتَخَيَّلُ؟

كَلاَّ

قَمَرٌ فَكَّ سِرْوالَهُ

وتَمَدَّدَ قُرْبي.

جسدي فِتْنَةٌ ـ لُغةٌ صُوِّرَتْ

مِنْ بَهاءِ الغَريزةِ، مِنْ غبطةِ الجنسِ، متروكةً

لِعذاباتِها

جسدي فِتْنَةٌ مُرَّةٌ.

(صمت)

ما أقولُ، ومن أينَ أبْدأُ؟ مَنْ أتشكّى؟ لِمَنْ أتشكَّى؟

مَنِ العابِرُ، الآنَ؟ بَعْثِرْ رجومَكَ يا ليلُ فوقيَ، تحتي.

سَمِّني نَجمَةً وخُذني

أيْنَما، كيفما تشتهي.

الرّجل

(يتابِعُ تقليب صفحات الكتاب)

وَهْمُ إنسٍ تُراها؟ أم تُراها نُبُوَّةُ جِنٍّ؟

أَتُراها رَحيلٌ

يَحسبُ الأرض صيداً

ويقول الأُلوهةُ قوسٌ وَسَهْمٌ؟

(صمت)

المرأة

لَسْتُ شرقاً وغربيَ في ظلمةٍ.

ولِماذا

لا تَجيءُ إلينا

لا لتَشهَد أوجاعنا. أو ترى فَقرنا ومَراراتنا

لماذا

أيُّها الغائب المضيء الذي لا يُضيءْ

غيرَ أوهامنا،

غيرَ ما لا يُضاءُ، لماذا

لا تجيءُ إلينا

لحظةَ الحُبِّ ـ جِنساً.

وترى كيفَ تَغدو المسافَةُ أضيقَ من نقطةٍ،

وأوسعَ مِنْ كوكبٍ.

(صمت)

ولماذا، لا ترى كيفَ نُوغِلُ في جسدينا
نتوحَّدُ. أعلى سطوعاً، وأبهى، كأنَّـا
في بَهائِكَ سِرُّ البهاءْ
حيثُ لا فَرْقَ ما بينَ هذا التّراب وتلك السَّماءِ، لِماذا
أيُّها الغائِبُ المُضيء الذي لا يُضيءْ
أيُّـها الغائِبُ الذي لا يَجيءْ؟

(صمت)

الرّجل

(متابِعاً تقليب صفحات الكتاب)

أَلسَّمَاءُ نساءٌ

يَتَجَمَّعْنَ في كُلِّ يومٍ

كي يَقِسْنَ المَسافَةَ بينَ الألوهة والجنس

بينَ مقاصيرهنَّ وعُشّاقِهِنَّ ـ السَّماءُ ارتحالٌ

بينَ فَرجٍ وفَرْجٍ

والسَّماءُ كِتابٌ ـ تُرابٌ

سائلٌ في الهواءِ. السَّماءُ بقايا معْدنٍ غامِضٍ.

(صمت)

المرأة

أَلنَّخيلُ المُعَذَّب يعلو إلى ربِّه شاكياً.
بكَتِ الشَّمسُ مِثلي
وبكَتْ عشبَةٌ
لم تَبُحْ باسْمها
وسَمعتُ نواحَ كلابٍ
وتَمَنَّيتُ لو قِطّةٌ تَعبر الآن، لَو أنَّ منديلَها
في يَديَّ ـ الطَّريقُ إلى زَمْزَمٍ مُرَّةٌ
والحصى يَتَذكَّرُ وِطْءَ الحجيج،
الحصى لا ينامُ، تُراني أصبحْتُ
مِثلَ حصاةٍ؟

(صمت)

تَهجُرُ الصّورُ الآنَ عَيْنَيَّ، تأوي إلى بئر زمْزَمَ، يأسي
رجلٌ آخرٌ أتَعَبَّد أعضاءَه.
لا أشير إلى ضَرَّةٍ
لا أشيرُ إلى عاشِقٍ أو إلى كارِهٍ.
بارئُ الأرض كالأرضِ طينٌ ـ أُشيرُ لِطيني.
نَشْأَتي خَذَلتْني
وتَحوَّلَتُ حتّى
كُدتُ أن أحْسبَ الرَّملَ ثلجاً.

(صمت)

الجوقة

هي ذي تتدلّى

فوقَ زَمْزَمَ، حُزْناً

مِثلما يَتَدَلَّى

ثَمَرٌ ذابِلٌ

نتخيَّلُ هذا النَّخيلَ يُحَرِّرُ أغصانهُ

من هواءٍ بلا نَشْوَةٍ، ولا حُبَّ فيهِ.

نَتَعَزَّى بأحلامنا ـ نقولُ الصّعاليكُ في كُلِّ أرضٍ

يَشْرَبونَ الخُمورَ بقُمصانِهم.

ونُغَنِّي:

هُنا نَجْمةٌ

تَتَوَهَّجُ في قَشَّةٍ.

هنالِكَ صَرَّارُ ليلٍ

يتحَوّلُ قيثارةً.

(صمت)

المرأة

لَسْتُ وَحدي هُنا

أَلدّروب التي فَتَحَتْها المنافي تتلاقى هنا

والذين مَحوا وامّحوا،

والذين يَعيشـونَ في الموتِ، في كُلِّ موتٍ هنا

والذين بَكوا وأَفاؤوا

إلى نَجمةٍ يشتكون ولَمْ تُجْدِهِم أغانٍ ولا صلواتٌ، هنا

وهنا مِصْرُ، لا بارِحٌ ولا سانِحٌ غيرُ آلائها، مِصْرُ ـ فلاّحُها

ومِحراثُهُ، والجِرارُ الّتي يرشَحُ الحُزنُ مِنها، والنّخيلُ الّذي

يكتُبُ النّيلُ أوراقَهُ وأُسامِرُ إيزيسَ ـ سوداءَ بيضاءَ ـ بيتاً

لِجميعِ المعاني وأُمّاً

لِجميع الصّور.

(صمت)

وأنا لا أُفَكّرُ فيه   لا أشيرُ إليهِ   ولا أتَخيّلُ أنّي
أَتَشَرَّدُ في ليلِ أعضائِهِ وأولد فيها   لا أُنَقِّبُ كلاًّ
لا أُشير إليه ـ لا أشيرُ إليهم
دمهُ حُبّهم   والزّمانُ على وَجْههم وعلى وَجْهِهِ خريفٌ
وأنا لا أُريدكَ ـ أهفو إليكَ، وأصرخُ: كلاّ لا تَجِئْ
لا تَجِئْ   أيُّها المُنْتَظَرْ
وَأُرَدِّدُ في هذه اللحظات الكلامَ الذي لمْ يَقُلْهُ الهواءُ
ليَأسِ الشَّجَرْ.

(صمت)

حَوليَ الآنَ نورٌ ولكن لا يُضيءُ وحولي

طُرُقٌ غيرَ أنِّي لا أشاهدُ إلاَّ رَماداً

مِغْزَلُ الشَّمس لا خيطَ فيه سوى القَشّ أغفو بينَ أكوامِهِ

أتُراها الملائكةُ اليومَ، في غَفْلَةٍ؟

ولماذا إذاً لا تُغيثُ أحبّاءها

ويُقال هَبطْنا ـ هبط البيتُ مع آدمٍ:

تُراني أقولُ لِطِفْلي:

لَسْتَ من آدمٍ؟

وأنا لا أُخاصِمُ إلاَّ

مَنْ تَبَطَّنَ نَفسي وتَبطَّنْتهُ ـ خالقي وحبيبي.

(صمت)

أَتُراني هُنا عاصِفٌ وطفليَ رَمْلٌ؟
أَتُراني هُنا وَتَرٌ
يَتَقطَّعُ في درجاتِ السَّواد
هبوطاً صُعوداً عازِفاً جُرْحَهُ؟
ولماذا إذاً لا أُغيّر نفسي ـ
أرجُّ مقاماتها وأجتاحها وأُنشِّئُ
من أوّلٍ خُطاها؟

(صمت)

«جَسَدي ليْسَ مِنِّي» تَقولُ تعاليمُهم.
أَتَقَلَّبُ فيهِ،
واهْتَدَيْتُ وتُهْتُ، وغَنَّيْتُ، صَلَّيْتُ، وانْسَقْتُ
فيهِ من فضاءٍ إلى آخرٍ
فلماذا تَقولُ تعاليمُهم   جَسَدي ليسَ مِنِّي؟

(صمت)

جَسَدي ما بَدَأْتُ وما أَبْدَأُ

جسدي كلّ ما كَتبتْه يداي، وما أَقرأُ.

والذي يفتحُ الطَّريقَ إلى الكلماتِ ـ حُبالى بأسْرارها،

وإلى اللّيل يَسبحُ في ماءِ تاريخهِ،

جسدي لا سِواهُ.

جَسَدي ما أراهُ وما لا أراهُ.

(صمت)

يَتَعَدَّدُ جسميَ في لَحظةٍ   يَتَفَرَّدُ في لَحظةٍ

لتباريحه وشطآنها،

والمرافئ والسّيل   والقنواتِ   وخُلجانِهِ وبَراكينهِ

والمضايقِ والبرزخ المنوّر ما بينَ عِرْقٍ وعِرْقٍ

وبُحيراتِهِ،

ومناراتِهِ

وغاباتِهِ

والمَجازِ إليه ـ المَجازِ الكبيرِ الصَّغيرْ،

أُطلِقُ الآنَ هذا الزَّفيرْ.

(صمت)

كَمْ أَحِنُّ إلى الشِّعر، أُصغي إليهِ

وأرى كيفَ يُفْصَلُ بينَ المُسَمّى وأسمائِهِ

وتُزَلْزَلُ أرضُ الكلامْ.

كَم أَحِنُّ إلى النَّومِ في مَوْجةٍ لا تنامْ.

غابةُ الصَّوتِ صفراءُ، تذبلُ،

والأرضُ رَسْمٌ على شَفَتَيْ بَبَّغاءْ

كَيفَ أحيا؟ شرايينُ حُبّيَ مخْنُوقةٌ

ودمي يَعشقُ الغِناءْ.

(صمت)

أتَسَلَّقُ ضَوْءَ النُّجوم، أدقُّ على بابِ ذئبٍ
وأفيءُ إلى حَجَرٍ كانَ ربّاً
وأرقُّ لهذي الجنادب تسْعى إلى رزقها بلا خشيةٍ
ولا حيرَةٍ.

(صمت)

جسدي خالِقي، وحُبِّيَ خلاّقُه.

جسدي فتنَتي،

جسدي نعمَتي.

(صمت)

مَرَّ طيْرٌ ولمْ يتوَقَّفْ

عَبَرتْ نَمْلَةٌ. وما هذه الغزالة تَدنو وتنأى؟

أتُراها أضاعَتْ غزالاً؟

ألَها رِفقَةٌ؟

أعَلَيْها رقيبٌ؟

(صمت)

صوتُ جُرْحٍ يجيءُ ويَمْضي
أَتَبَدَّدُ فيه ويَهربُ جسميَ مِنِّي،
فارْمِني وَأَصِبْني بسهامِكَ يا حُبُّ،
قل لي
كيفَ تُسْتَوْلَدُ النَّارُ من شهوةٍ مُطْفأهْ؟
أَعطِني أنْ أكونَ امرأهْ.

(صمت)

الرّجل

(متابِعاً تقليب صفحات الكتاب)

هذهِ امرأةٌ تَعشَقُ الأرض ـ ملموسَها ومحسوسَها ،
وتقولُ: الجسَدْ
ليسَ إلاَّ جلاءً
لِخفاءِ الأبَدْ.
إنّها سكْرَةٌ
لا تَرى في كتاب الألوهة إلاَّ
وَرَقاً ـ أمّةً
حشدَ كَرٍّ وفَرٍّ
يَتَبَدَّدُ في لا أَحَدْ.

(صمت)

المرأة

أَلمكان هُنا أوّل الأرض؟ أم آخِرُ الأرضِ؟ لا فَرْقَ.
زَوجيَ (مَن كان زوجي) يَظُنُّ: قُتِلْنا، تُرِكْنا
دون دَفْنٍ
إلى طيرهِ وإلى وحشهِ.

أَتُرى يتساءَلُ؟ أم أَخذَ الموت يكسِرُ أهدابَهُ؟
زَرَعَ الوَعْدَ لكن أضاعَ الطَّريقَ
إلى نسْغِهِ المُنْتَظَرْ

أرضُهُ أرضُهُ، وفي طفلهِ
زَمَنٌ جامِحٌ لم يعد طِفْلَهُ ـ
لم يعد غَيرَ معنى
تتخاصَمُ فيه الصُّوَرْ.

(صمت)

أينَ راحَ السَّرابُ الذي كُنتُ أربِطُ أفراسَ وَهْمِي
ببحيراتـــهِ؟
أينَ غابَ الحنينُ وآبارُه التي شربتْني؟
حُكَّ ظهريَ، يا كوكب اللّيل، بالكلماتِ التي تَتَثاءَبُ في
شفتيَّ، أَعِنّي عليها (لم تَزَلْ تتقطَّرُ وحياً) وخُذْني
كي نعودَ لإيزيسَ في عُرْيِها
ونخطَّ لغاتِ السَّماءْ
بيدٍ حُرَّةٍ ـ لغةِ الحُبِّ والشعر والكيمياءْ.

أيُّها الكوكبُ الحميمْ
لا تَنَمْ، لا تَنَمْ،
قبلَ أن تتقَبَّل ناري، وتصهَرَ جمريَ في جمركَ الكريمْ.

(صمت)

كلّما أخَذتْني إلى بيتها الظّلالْ
أتأكَّد أنّ السُّؤالْ
مثلما همستهُ الطَّبيعةُ: لا ماءَ يرويهِ. لكن
أَتُرى أَتَجَرَّأُ أن أكشف الغِطاءَ عن السِّرِّ
يُوغِلُ فيَّ، ويكمنُ في لاقَرارٍ،
بين روحي وجسمي؟

قَلقي أنَّ رأسي مَليءٌ بكَ الآن،
أنتَ الذي كنتَ زوجي، مليءٌ
بالفراغ، مليءٌ بِرَبٍّ خدمتُ الحجارةَ في بيتهِ
وخُتِنْتُ على بابهِ
أَتساءَل: هل كنتَ شخصاً،
أم رُكامَ ثيابٍ؟
أَتساءل: هل أنتَ حَيٌّ
في كتابِكَ، أم في حياتِكَ،
أم أنتَ مَيْتْ؟
كيفَ أسْتَغْفِرُ الآنَ حُبِّيَ، هيكلَ حُبِّيَ، عَمّا أتَيْتَ،
وعَمّا أتيتْ؟

كيف أقنعتُ جسميَ ألاّ يكونَ سِوى واحةٍ
يَتَنَزَّهُ جسمُكَ فيها، وأقنعتُ نفَسي
أن تكونَ لَهُ حارساً؟

قَلَقي أَنَّ رأسي مَليءٌ
بفراغكَ، أَنَّ امتلاءكَ لَغْوٌ بـ«نحن»
و«كنَّا»، و«كانوا»، ومن أين جاؤوا وجِئنا؟
قَلَقي أَنَّكَ اختناقٌ بِـ«حتّى» و«أَنَّى»، و«ليْتْ».

(صمت)

الجوقة

أَلنِّساء يرحنَ ويأتينَ شوقاً
لغزالٍ غريبٍ
لم يكن مرّةً ملاكاً
لم يكن مرّةً نبيّاً .

(صمت)

هذه امرأةٌ تُرْضع الوقْتَ والنَّاسَ أَحوالَها .
إنَّها ترسم الدَّليلْ
لِلطَّريقِ إلى المُستحيلْ .

(صمت)

المرأة

(تبدو مع ابنها في حالةٍ من العذاب كأنّما ليس وراءه إلاّ الموت)

أَلتّرابُ الذي كان صمتاً ونوماً
هو ذا الآنَ ينطقُ،
يَفتَحُ أجفانَهُ
يتغلغل تحت ثيابي،
ويخفقُ صدريَ مع صَدرِه. وأَنْهضُ
أمشطُ شَعري، أوجّه وجهي لحُبّي.
أَلجذورُ التي تتأصّل في هذه
الأرضِ، هذي جذوري. ماءُ زَمْزَمَ يجري
في عروقي دَماً آخراً.
أُغْلِقَ الكونُ في وجهيَ الآن: طِفلي
غَسقٌ شامِلٌ ـ أَتفَتَّتُ فيهِ.
أتأمّلُ نجماً، أُحِسُّ كأنّي أنامُ على ساعديهِ.
أَشهَدُ الآنَ أنَّ الطَّبيعةَ أوَّلُ ما أنتمي إليه،
وآخِرُ ما أنتمي إليهِ.

(صمت)

ما أقولُ لأسلافيَ الآن؟ خَيْرٌ
أن يظلّوا كما كُوّنوا أُخوةً للكواكبِ. أن
تَتَرنَّمَ أحشاؤهم بنشيد الطبيعةِ.
أن يَنْذُروا النّيلَ والأَرْضَ والكلماتِ لإيزيسَ.
لا، لستُ أَهْذي، ولكنني
لن أكون الفريسَةَ: أُصغِي، وأَمْحو
وَجهَ إيزيسَ والنّيّراتِ. وأَنسَى
وتُدارُ عليَّ كؤوسٌ بلا نشوةٍ.
وبلا حكمةٍ «ها هنا نحن جئنا،
وربُّ الجُنودِ يَقودُ خطانا. حَرْقَنا
زَرْعَهم. وهَدمْنا
كلَّ ما عَمّروا. وأَبَدْنَا كلَّ أطفالهم».

ما أقولُ لأسلافيَ الآن؟ إن كان ثَمّةَ رَبٌّ
أَحَدٌ واحِدٌ، فلماذا
لا يقول لأبنائِهِ: سَواءٌ
كلّكم؟ ولماذا

يقول لأولئكَ: اقتلوا هؤلاءِ؟ لماذا
يفضّل هذا على ذاكَ؟ يُعطي لهذا
بيتَ ذاكَ؟ يُبيحُ لهذا
أن يَسودَ، ويأْمُرُ هذا
أن يكون له خادماً وَعبداً؟

هل عَليَّ، كما يهمسُ الضّوءُ، أن أتحسَّسَ ثَدْييَّ،
فَرْجيَ، باطنَ رِجْلَيَّ، كي أتبيَّنَ معنى الخليقةِ؟
عيناي رَمْلٌ
ووجهيَ شَمْسٌ
لجنوبٍ شَمالٍ، لِشَرْقٍ يُغرّبُ. يا أيُّها
السِّرُّ هل أَنْتَ رَمْلٌ؟
هَلِ الثَّدْيُ أَوّلُ أنشودةٍ للغبار؟ وما هذه
الخَليقَةُ؟ ما هذه اللُّغَةُ الماكرهْ
خذ يَدي، أيُّها الحُبُّ، خُذْني لكي
أَتَخلَّصَ من قَيْدِ أَفْلاكِها الدَّائره.

المرأة وطفلها، الزاوية، الجوقة، الرّجل، حشدٌ من الناس

(ساحة عامة)

صوت

هُوَ ذا شَررٌ في الظّلامْ
يتنبّأُ: لا تَقْربوها، ارْجمُوها
أَلكلامُ عليها يُضِلّ الكلامْ.

صوت آخر

نتوقَّع أن ترجع السَّماء إلى بيتها
بينَ ثَدْيَيْنِ من فِتْنَةٍ.
ألذّهابُ إلى الحُبِّ قيثارةٌ
سَنُقَدِّم أجسامنا لأوتارها.
لِتعدْ هذه النّجوم إلى النَّوم خارج أجْفانِنا
أَلنّهار حصاةٌ
والمساء دخانٌ ـ حَطَبٌ أخْضرٌ.

صوتٌ آخر

قَصَبُ العُمْرِ سَرَّحَ أشجانَهُ
في مزاميرَ منْ فُرقَةٍ ومنْ حُرْقَةٍ.
لا تَطُفْ أيّها الخيالُ على أرْضِنا.
صخرةٌ فوق أكتافنا   مِنْ دمٍ من يباسٍ
صَخْرَةٌ فَوقَ أهْدابنا
صَخْرَةٌ مِنْ نُعاسٍ
لا تَطُفْ حولنا
لا تَطُفْ حولنا.

(يهجم الحشد على المرأة ويقتلها رجماً بالحجارة هي وطفلها)

الجوقة

إنّها وابنُها
أسيران في ظُلُماتٍ، بداياتها لفظةٌ،
ونهاياتُها لفظةٌ.

يقرأ الطّالعونَ من الوَحْيِ ما يَتَيَسَّر منها:
زمَنٌ بائِرٌ ودَمٌ نافِرُ.
إهْدِهِمِ إهْدِهِمِ أيُّـها الشَّاعرُ.

(باريس، أواخر كانون الأوّل ٢٠٠٥ ـ أيلول ٢٠٠٦)

للشاعر

(آثَرْنا، اختصاراً، أن نكتفي بالإشارة إلى الطبعتين الأولى، والأخيرة).

١) شعر

قصائد أولى، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٧؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

أوراق في الريح، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٨؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

أغاني مهيار الدمشقي، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦١؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل،
ط١ المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٥؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

المسرح والمرايا، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٨؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

وقت بين الرماد والورد، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.

هذا هو اسمي، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.

مفرد بصيغة الجمع، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٧؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

كتاب القصائد الخمس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.

كتاب الحصار، دار الآداب، بيروت ١٩٨٥.

شهوة تتقدم في خرائط المادة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٧.

احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

أبجدية ثانية، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٤.

الكتاب I، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٥.

الكتاب II، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٨.

الكتاب III، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢.

فهرس لأعمال الريح، دار النهار، بيروت.

أَوَّلُ الجَسدِ آخِرُ البَحْر، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣

تَنَبَّأْ، أيّها الأعمى، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣

٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛
ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٥؛
ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.

الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥؛
الطبعة الخامسة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨.

الأعمال الشعرية الكاملة، طبعة جديدة، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦.

٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛
ط٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦.

زمن الشعر، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢؛
ط٦ مزيدة ومنقَّحة، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٥

الثابت والمتحوّل، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب،
الطبعة الثامنة (طبعة جديدة، مزيدة ومنقحة، في أربعة أجزاء):
١ ـ الأصول،
٢ ـ تأصيل الأصول،
٣ ـ صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني،
٤ ـ صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري.
دار الساقي، ٢٠٠١.

فاتحة لنهايات القرن، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠؛
الطبعة الثانية، دار النّهار، بيروت.

سياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.

الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.

كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.

الصوفية والسوريالية، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٢.

النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

النظام والكلام، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

ها أنت أيها الوقت، (سيرة شعرية ثقافية)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

موسيقى الحوت الأزرق، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٢.
المحيط الأسود، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٥.

٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦٢.
ديوان الشعر العربي،
الكتاب الأول، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.
الكتاب الثاني، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.
الكتاب الثالث، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٨.
ديوان الشعر العربي (ثلاثة أجزاء)، طبعة جديدة، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦.
مختارات من شعر السياب، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٧.
مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
مختارات من الكواكبي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
مختارات من محمد عبده (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.

مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
(الكتب الستة الأخيرة، وُضعت بالتعاون مع خالدة سعيد).

٥) ترجمات

حكاية فاسكو، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.
السيد بوبل، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.
مهاجر بريسبان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.
البنفسج، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.
السفر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.
سهرة الأمثال، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.
مسرح جورج شحادة، طبعة جديدة، بالعربية والفرنسيّة، دار النهار، بيروت.
الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس،
منارات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦؛
طبعة جديدة، دار المدى، دمشق.
منفى، وقصائد أخرى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨.
مسرح راسين
فيدر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٩.
الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦.
كتاب التحولات، أوفيد، المجمّع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢.

زَعموا أنْني خُلقْتُ لكي لا أكونَ سوى ذلكَ الإناءْ
لاحتضانِ المَنيِّ كأنّي مُجرَّدُ حَقْلٍ وحَرْثٍ:
جَسَدي من غُثاءٍ وحَيْضٍ
وحياتيَ تَجري
مَرَّةً، صَرخَةً، مَرَّةً مُومأَهْ.
وَلِماذا إذاً يَكتُبُ الكونُ أسرارَهُ
بيديْ عاشِق؟
ولماذا إذاً يُولَدُ الأنبياءْ
في فراشِ امرأَهْ؟





ISBN 978-1-85516-798-8
